Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إننا عندما نربط بين الرجوع والطفولة، نمارس نوعا من الإحالة على حقلين مفوميين، في معناهما اللغوى والذاتي ما يشدنا إلى أسلوب في التعبير يقوم على السرد، لأن الاستعادة، في هذه الحالة تنطلق، في الواقع، من حياة وقد تحولت إلى حكاية مروية، وإلى مرحلة في الوجود لها محدداتها الزمنية والعقلية والشعورية والنفسية...إلخ، توجد على مسافة من حاضر التذكر والكتابة معا.

وسنكتشف في النص الذي بين أيدينا (رجوع إلى الطفولة)، أن هذه العملية المركبة، تتميز بطريقة خاصة في العرض، وأعنى بذلك أن السيرة الذاتية للطفولة تنكتب عبر الفضاء الذي ارتحلت فيه. بل إن الفضاء، كمدينة، يصبح علامة على استقبال الذكريات وتحولها، أو لا يمكن الاستدلال على هذه الذكريات إلا من خلاله. وسنتطور في بحث هذه النقطة في علاقتها بتحولات تاريخ الأنا الفردي، من خلال النقط التالية :

صور الطفولة

من أولى الصور الثابتة للطفولة في النص، من حيث اقترانها بذكريات معينة، ما يرتبط بالمكان ومشخصاته. تعود بنا الساردة إلى تلك الأجواء المترتبة عن اعتقال (أحمد أبو زيد) أبيها، وما نتج عن ذلك من خصومات عائلية كانت أمها ضحية لها. ففي بيت (أهل الأم «يسخرون من أهل أبي ويقولون...» (ص 14)، وفي «بيت أهل أبي يسخرون من أهل أمي ويقولون...» (ص 14). ثم تنثال الذكريات: (كبورة) «تسب أمي» في بيت الجد، «غرفة مغلقة علينا وامرأة أخرى عريضة تضرب عى شباك النافذة» وتأكل قطعة «بطيخ ثم ترمي بالقشرة من السياج» (ص 15). يمكن أن نجد أيضا كثيرا من الصور الملونة العالقة بالذهن، إمعانا في التعبير عن مرحلة ولت، ولا تستعاد إلا على نحو غائم، أو ما يوحي بالتبعاد والنسيان: صورة طائرين سوداوين كبيرين، غابة الصنوبر (ميدان اللعب)، البساتين الصغيرة، المدرسة في نهاية الغابة، بقرة صفراء، قبعة الضباط الفرنسيين، قفة انزلقت إلى وادي أم الربيع وذهب بها التيار... إلخ.

ترتبط هذه الصور في النص بالطفولة الأولى كما قلنا، وتحيل على مكان استعارتها (القصيبة/مدينة) في نفس الوقت، ولكنها تأتي متضمنة في الحكايات المسرودة عن الماضي، وتندرج أيضا ضمن نسق من الأحداث التي تعرضها الساردة بضمير الأنا المتكلم للتعبير عن تفاعلها مع أجوائها المتناقضة. ويمكن تحليل هذه العناصر مجتمعة من خلال ثلاث مستويات :

الأول ويتعلق بالحكاية المسرودة في حد ذاتها، أي بالوقائع المترتبة عن انطلاق الحركة الأولى في النص (الوصول إلى القصيبة)(«توقفت الحافلة في الطريق الرابطة بين